وجهة نظر

في حماية المخطوطات العربية

بقلم
بشير الهاشمي
الادارة العامة للثقافة ـ وزارة الدولة
الجمهورية العربية الليبية

لعل اول ما يلفت نظر الباحث في شأن المخطوطات العربية ان امر العناية بها وتحقيقها ونشرها يكاد يكون منصبا على جهود فردية بحتة اضطلع بها وتحمل اعباءها ذلك الجيل من الاساتذة الرواد الذين كانوا بداية استكشاف، لهذا الطريق الصعب ومشعل ارشاد لكنوزه المجهولة وعندما اقعدتهم عاديات الزمن وحالت بينهم وبين مواصلتهم الجهد والبذل خفت بريق العناية بهذه المخطوطات وانزوى بعيدا خلف اهتمامات اخرى قد تكون ايسر سبيلا واسهل تناولا وان وجد هذا الاهتمام فانه يكاد يندرج في سياق اكاديمي بحت لا يتجاوز حدود قاعات الدراسة الجامعية والمعاهد المتخصصة دون ان يحقق له الانتشار الثقافي العريض الذي يمكنه من قدرة والتأثير ويتيح له روح الاستمرارية المتفاعلة . وينبغي الا يتبادر الى الذهن ان المقصود هنا التقليل من جهود الجامعات والمعاهد في حماية المخطوطات والعناية بالتراث فالعكس هو الصحيح ولا ضرب مثلا بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية فهو الملاذ الامين الذي تستجير به هذه المخطوطات من الاهمال والضياع والاندثار وجهوده المعروفة في غنى عن التعريف بها هنا وانما الذي اقصده هو دعوة للخروج في العناية بهذه المخطوطات من اطار النظرة الاكاديمية التقليدية الى افق اكثر رحابة بما يحقق التفاعل والتلاحم مع الجماهير العريضة من المثقفين ولكي تحقق هذه المخطوطات مزيدا من نبض الاشعاع والاخصاب في خضم الثقافة العربية ولا يتوقف فقط عند مهمة التحقيق والنشر والتصحيح والتعريف .

ولعل ما يلفت النظر ايضا في شأن المخطوطات العربية هو انحسار موجة الاستشراق والمستشرقين ومهما كانت المآخذ التي تحسب عليهم فقد كانت لهم جهودهم الريادية الناجحة في احياء المخطوطات النادرة والتعريف بها وطبعها ونشرها وان كانت هذه الجهود قد تمت في الكثير من جوانبها في ظروف انتزعت فيها هذه المخطوطات من ارضها العربية الام ونقلت الى ارض غريبة عنها وهو ما يسوقنا الى سؤال اعتراضي ، اننا نفكر في حماية المخطوطات العربية ترى الا نفكر في استرجاع المخطوطات العربية المنهوبة في ظل سطوة استعمارية قاهرة الى ارضها الام ؟ انه مجرد سؤال .

ويتضح الان ان ثمة فراغ كبير في مجال الاهتمام والعناية بالمخطوطات يثير الدهشة حقا ويدعو الى تكثيف الجهود وتوحيد السبل التي من شانها ان تدفع بالخطوات المبذولة الى الحركة والتقدم . وانه لامر غريب حقا ان لا توجد حتى الان خطة عربية موحدة لاجراء عملية مسح شاملة للمخطوطات واماكن تواجدها في مختلف ارجاء الوطن العربي وتوفير اسباب حمايتها وصيانتها ووسائل الانتفاع بها وهي ضرورة فوق انها علمية وثقافية فهي في المقام الاول ضرورة قومية تمثل اخطر معيار من معايير الشخصية العربية ومعالم مقوماتها الحضارية . وفي هذا المجال لا ينبغي الا نحمل معهد المخطوطات العربية وحده ثقل هذه المسئولية ولانه حسب ما لدي من معلومات قد قام بالعديد من المهام والمبادرات في مجال العناية بالمخطوطات وتصويرها فقد قام مثلا بعملية استطلاع عامة للمخطوطات في الجمهورية العربية الليبية في اواخر سنة ١٩٧٢م واعتقد انه خرج منها بحصيلة موفقة من المعلومات والبيانات ولان المسئولية هنا تضامنية تتشارك فيها كافة الاجهزة المعنية بشئون المخطوطات في مختلف الاقطار العربية تتطلب في المقام الاول تنسيق جهودها مع معهد المخطوطات وربط اتصالها الدائم به واتاحة كافة التسهيلات له بالدرجة التي تمكنه من اداء رسالته العلمية الهامة.

واعتقد انه من مسئولية معهد المخطوطات العربية وبما لديه تجارب وخبرات وممارسات تجعله في

موقع القدرة على التقييم العلمي السليم لاوضاع المخطوطات وسبل العناية بها ان يقدم تصورا عاما لخطة عربية موحدة في مجال تجميع هذه المخطوطات وحمايتها والحفاظ عليها وفي استخلاص خطوط عريضة لقانون عربي موحد بالخصوص بالتكاتف مع جهود هذه الحلقة الدراسية وغيرها في الوصول الى نتائج طيبة اتمنى ان تنبثق عنها :

١ ــ لجنة متابعة دائمة لحماية المخطوطات ترتبط في تنسيقها مع معهد المخطوطات ومع الجهات المعنية في كافة الاقطار العربية وتجتمع بصفة دورية .

٢ ــ التوصية لدى الدول العربية المعنية بتوفير كافة متطلبات الاستفادة من المخطوطات بروح ايجابية فعالة من شانها ان تشجع الباحثين والدارسين وتدفعهم الى استقطاب جهودهم في هذه المجالات الحيوية بما تتيحه هذه الدول من امكانيات ووسائل فنية وبشرية ومادية .

٣ ــ الدعوة الى خطة عربية موحدة تستهدف تبادل المعلومات بشأن المخطوطات والعمل على استرجاع المخطوطات التي نهبت في ظروف السيطرة الاستعمارية .

٤ ــ مع التقدير العميق لجهود معهد المخطوطات فانه بحاجة لاثرائه بروح جديدة تبث فيه ارادة التحرك الدائم والحضور المتواصل بكل ما يختص بهذه المخطوطات وتطعيمه بمختلف العناصر المعنية بشئون المخطوطات من البلادالعربيةوالخروج به من النطاق التخصيص المحدود الى مجالات ارحب واوسع مدى يتلاحم فيها مع مصاب الثقافة العربية العامة ويتماوج باكبر واعمق من اطاره الاكاديمي المعروف . وبالدرجة التي تتواجد فيها نشاطات المعهد ونشراته الدورية وغير الدورية في كل ارجاء الوطن العربي .

هذه ملاحظات عابرة قد يعوزها التخصص والاستطلاع العلمي والفني للمخطوطات العربية ولكنها لا تفتقد الاخلاص والرغبة في الاسهام بوجهة نظر من اجل حماية هذه المخطوطات وفي الجمهورية العربية الليبية تتظافر الان وتتكاثف جهود مختلف الهيئات والمؤسسات والادارات الثقافية والادبية من اجل ايجاد صيغة علمية لحماية التراث واحيائه في مختلف مجالاته وانواعه ومن بينها المخطوطات في مختلف اماكن تواجدها ومحاولة تجميعها في نطاق مركزي موحد يسهل طريقة استقصائها والاستفادة منها بروح علمية جادة فبوشر في انشاء دار الكتب والوثائق القومية التي من المؤمل ان تتولى جمع هذه المخطوطات من المكتبات والعائلات والافراد واعداد الفهارس العلمية وايضا شراء وتصوير المخطوطات الليبية الموجودة في مختلف المكتبات العربية والاجنبية . كما تم تأسيس الدار العربية للكتاب وهي مؤسسة مشتركة ليبية ــ تونسية وقد باشرت اعمالها بالفعل ومنطلقها الاساسي احياء التراث العربي وايجاد وسائل الاستفادة منه بطبعه ونشره وتوزيعه وتشجيع الباحثين والمحققين والدارسين العرب للاهتمام بهذا التراث والعناية به وقد استكملت طبع ونشر بعض كتب التراث من بينها :

١ ــ مستفاد الرحلة والاغتراب للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي
تحقيق واعداد عبدالحفيظ منصور
٢ ــ ذيل بشائر اهل الايمان بفتوحات آل عثمان
تاليف حسين خوجة ــ تحقيق الطاهر المعموري
٣ ــ كتاب الممتع في علم الشعر وعمله
تاليف عبدالكريم النهشلي
تحقيق الدكتور المنجي الكعبي
٤ ــ الرسائل العسجدية في المعاني المؤيدية
تاليف عباس بن علي الصنعاني
٥ ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ثمانية اجزاء
تاليف ابن بسام
تحقيق الدكتور احسان عباس

في هذا المجال ايضا تقوم الادارة العامة للثقافة بوزارة الدولة بطبع ونشر ما يقدم اليها من مخطوطات محققة وترصد الحوافز المشجعة في هذا الخصوص وتعمل على توفير المتطلبات التي يحتاجها مثل هذا العمل العلمي الهام وانه جهازها المختص بالطبع والنشر بصدد اعداد مخطط مدروس في مجال التراث واحيائه . كما ان للهيئات العلمية المتخصصة مثل الجامعة الليبيةوالمؤسسات الاخرى نشاطها المبذول في هذا الميدان .

ويبدو واضحا الان ان اسلوب التنسيق والتنظيم والتعاون بين هذه الهيئات والمؤسسات والادارات يباشر خطواته الاولى وانه من غير الخاف ما تحتاجه وتتطلبه مثل هذه المهام من وقت وجهد ووسائل بشرية ومادية وان ما يبعث على الثقة والاطمئنان ان جميع هذه الخطوات تسودها روح الرغبة في العمل العلمي الجاد وهي تمضي في اتزان ويقظة من شانها ان تذلل الصعاب وان ترفع المشاعل في طريق احياء التراث وتجديد سبل العناية به . بالتكاثف والتلاحم مع كافة الجهودالعربية الاخرى .

مع صادق التحيات